عصر سميراميس

(نبذة تاريخية)

* * *

اذا ذُكرت شهيرات النسآء في التاريخ القديم فلسميراميس منهن مقام في الطليعة ومجلس في الصدر . كيف لا وقد تحدثت بذكرها الرواة والمؤرخون وأعظموا قدرها وقالوا انها كانت ملكة نينوى الواسعة ومؤسسة بابل ومخضعة الممالك وبانية الرياض المعلقة وناشرة سلطة اشور من الاوقيانوس الهندي الى البحر الاسود . واليها عزوا اعمالاً عظيمة اهمها نشر العمران في اسيا الصغرى ولا سيما في ارمينيا والاهتمام بمملكة واسعة ادارت شؤونها ادارة عجزت عنها الرجال . . .

هذه هي سميراميس الملكة الشرقية العظيمة . غير ان بحثة التاريخ قد اختلفوا في حقيقة أمرها .

أول من ذكر اسم هذه الملكة هو المؤرخ اليوناني كتيزياس الذي كان طبيباً في بلاط ارتكسركس الثاني (سنة ٤٠٠ ق.م) . روى هذا المؤرخ ان الملك نينوس بانيَ نينوى وزوجته سميراميس هما اللذان اسسا مملكة اشور المنبسطة في اسيا حتى اطراف بلاد الهند . وان سميراميس كانت قبلاً زوجة

سمبراماس — للمصور ثيمر

لاحد قواده المدعو أونيس فأعجب بها الملك وأحبها لعمل عظيم قامت به وهو فتح مدينة باكترا بعد ان عجزت عنها جيوشه وتزوجها ثم بعد موته تبوأت عرش اشور وادارت شؤون الملك بحكمة ودراية وطفقت تطوف في انحاء البلاد وتخطط المدن الكبرى (ومنها بابل) وتقيم الاثار العظيمة وتبني الطرق وتسهل العقبات وتخضع الممالك . ولم تخفق الا في حربها مع الهند . وبعد ان ملكت ٤٢ سنة سلمت الاحكام الى ابنها نينياس وتوارت . أو كما ورد في الاصل استحالت حمامة وطارت الى السماء وغدا القوم يعبدونها كآلاهة . فمنهم من ألهها كعشتاروت أو حسب الاثنتين واحدة . ومنهم من تعبد لها مسمياً اياها الاهة الحرب والحب .

على ان بعض المؤرخين يأبون تصديق قصة سميراميس كما اوردناها ويقولون ان مجرد ورود ذكرها في ما كتبه كتيزياس غير كاف للجزم بأنها كانت حقيقة في التاريخ . وهم يعدونها خرافة من الخرافات الكثيرة التي وردت في اساطير الاولين ولا سيما بعد ان تشعبت الاراء في امرها

وقد جاء في الاساطير عنها انها كانت سورية المولد . نشأت وترعرعت في غربي سوريا حيث كان الحمام يأتيها بطعامها وهي طفلة ويعولها حتى كبرت . وقيل ايضاً ان نينوس هام بها لما كانت زوجة لسواه واستخلصها منه بالقوة — الى غير ذلك من الاقوال التي تدفع المؤرخين الى الاعتقاد بان هذه الملكة الشرقية العظيمة لم تكن قط وليس لقصتها أصل .

بيد ان علماء التاريخ قد ظفروا منذ اعوام باثار قديمة قد تثبت للورى

شيئاً من أمر سميراميس غير ما رووه الاساطير فقد عثر المنقبون في اسيا الصغرى عَلَى أثر يتصل تاريخه بزمن الملك اداد نراري (سنة ٨٠٠ ق . م) اقامه احد الولاة البابليين وبه يبجل امرأة يدعوها مولاته واسمها شموراماتٍ. وعثروا ايضاً بعد ذلك في اشور القديمة عَلَى نصبين محفور عَلَى احدهما اسماء ملوك اشور وعَلَى الاخر اسماء نوابهم . وبين اسماء الملوك يرد ذكر امرأة لها علاقة بثلاثة منهم . وهي شموراماتٍ سيدة بلاط الملك شمسي اداد ، وأم الملك اداد نراري ، وجدة شلمناصر الشاب .

وهذه ترجمة النقش الذي ورد فيه اسم هذه الملكة —

« نصب شموراماتٍ سيدة بلاط الملك شمسي اداد ملك العالم »

« وسيد اشور ، وام اداد نراري ملك العالم وسيد اشور ... »

« شلمناصر ملك اربعة انحاء الارض »

عَلَى هذه الصورة يثبت لنا التاريخ حسياً انه من المستحيل ان تكون سميراميس أو شموراماتٍ هذه موسسة لمملكة اشور . فانها كانت في عصر مضت به ثمانمائة سنة عَلَى تأسيس هذه المملكة الواسعة . ولا يصح هذا الا في عقل مورخ اجنبي ككتيزياس الذي كتب قصة عن سميراميس بعد ورود اجيال عَلَى وقوعها فخبط في ما كتبه خبط عشواء غير ملم بتاريخ اشور الحقيقي وقد يمكن انه استعار ما كتبه من اسطورة مادية اقتبسها اهل مادي عن الكلدانيين . وعَلَى كل فاسطورة سميراميس بما فيها من الجمال والمبالغة تدلنا عَلَى ما كان للمرأة من المكانة في الزمان القديم عند الكلدانيين والاشوريين